

مواقف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية
من خلع السلطان المغربي محمد الخامس

الدكتور/ برنو توفيق
جامعة مصطفى اسطمبولي
معسكر - الجزائر

مقدمة:

لقد أثار انتباهنا مقال للأستاذ مولود عويمر¹، الموسوم بـ "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومحمد الخامس"²، الذي يتناول فيه موقف الجمعية من قضية نفي الملك المغربي محمد بن يوسف من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية يوم 20 أوت 1953، وردود فعلها تجاه ذلك. وتبادر إلى ذهننا لحظتها: بما أن لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين موقف من تلك الحادثة، وهي البعيدة عن السياسية نسييا، فيمكن أن نجد مواقفها مشابهة أو مناقضة لباقي تيارات الحركة الوطنية الجزائرية. وخلال بحثنا في علب الأرشيف الفرنسي لما وراء البحار بأكس-أون-بروفانس، ونحن بصدد جمع المادة التاريخية لرسالة الدكتوراه، عثرنا صدفة على وثائق تعكس مواقف مختلف التيارات الجزائرية من: جمعية العلماء، حركة الانتصار، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الحزب الشيوعي الجزائري من حادثة نفي السلطان المغربي. وعليه بدأنا بالتساؤل التالي: هل تحكمت في مواقف التيارات الحركة الوطنية تجاه قضية نفي الملك المغربي الرواسب التاريخية، التي تعود إلى مقاومة الأمير عبد القادر؟ أم توحدت لنصرة المغرب وملكه؟.

1- خلع ونفي السلطان محمد الخامس في 20 أوت 1953 وتداعياته:

بعدما تم استئصال السند السياسي للملك، المتمثل في الأحزاب الوطنية المغربية وفي مقدمتها حزب الاستقلال، استعانت إدارة الحماية بخصومه الموالين لها والمجتمعين وراء لفلأوي³ باشا مدينة مراكش. ففي 20 مارس 1953، جمع الباشا لفلأوي في قصره 20 قائدا للمصادقة على عريضة تطالب بخلع السلطان بحجة إخلاله لواجباته الدينية وولائه للأحزاب المتطرفة، وتسليم العرش لمن هو أهل له. وتم تسليم العريضة للإقامة العامة يوم 12 ماي حاملة توقيع 250 من باشوات أو قياد، 6 شيوخ زوايا، 31 شخصية مغربية بارزة. وفي المقابل، كان عبد الحكي الكتاني،⁴ قد دعا لعقد مؤتمر للطرق الدينية لشمال إفريقيا بفاس، في أبريل 1953، ضد السياسة الدينية للسلطان.

بعدها يُقدم لفلأوي على تحريض اضطرابات ابتداء من 13 أوت 1953 مست الرباط، الدار البيضاء، مراكش، وجدة وضواحيها، وجمع حوالي 12 ألف من مؤيديه من البربر في مدينة مراكش بدعوة منه وتنسيق مسبق مع سلطات الحماية، للدعوة إلى خلع السلطان وترشيح محمد بن عرفة لتولي العرش.⁵ كما قام لفلأوي باستنفار الجيوش القبلية في اتجاه فاس والرباط ومحاصرة السلطان في قصره. وفي 20 أوت، بعد اجتماع مجلس الوزراء الفرنسي أقر قلب عرش الملك محمد الخامس، لتقوم الإقامة العامة ليلا بتنفيذ الأمر بخلعه وإبعاده هو وعائلته إلى جزيرة كورسيكا، ثم إلى منفاه في مدغشقر، وتنصيب مولاي بن عرفة⁶ على العرش بعد أن بايعه المتآمرون.

اعتقدت سلطات الحماية بأنها بنفي السلطان محمد الخامس وحل حزب الاستقلال المغربي قد ثبتت وجودها، ولا يوجد من يعارض سياستها. لكن الأحداث التي تلت، نفت ذلك الاعتقاد وبدأت الصفوف تنتظم لمواجهة الموقف، وتوالت ردود الفعل تجاه الحدث. وفي خضم هذه التطورات المغربية كان الشعب الجزائري ومختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية تتابع باهتمام ما يجري بالمغرب. وحتى السلطات الاستعمارية بينت تخوفها من انعكاس صدى الأحداث على الجزائريين، فعمدت إلى مراقبة الحدود الجزائرية المغربية، ثم تشديدها يوم 14 أوت 1953، وتحرك درك مدينة مغنية لمراقبة كل الطرقات والدروب الممتدة إلى الحدود، وأعطى نائب عمالة تلمسان أوامره بزيادة عناصر المراقبة في مختلف القرى والدواوير القريبة من الحدود.⁷ ونلمس أيضا تخوف السلطات الفرنسية في الجزائر من تأثير الأحداث المغربية على الساحة الجزائرية، من مراسلة مدير ديوان عمالة وهران (Préfectured'Oran) إلى كل من الأمين العام والشرطة والشؤون الاقتصادية، يوم 6 مارس 1954، بعد تعرض سلطان المغرب الجديد محمد بن عرفة إلى محاولة اغتيال، يأمر فيها مصالح الشرطة باتخاذ أعلى درجات الحذر والحيطه وإعلامه بكل ردود الفعل المسجلة في العمالة.⁸

2- رد فعل الحركة الوطنية في الجزائر من العملية:

قليلة هي الكتابات التاريخية والسياسية التي تناولت موضوع ردود الفعل الجزائرية تجاه خلع ونفي السلطان المغربي محمد الخامس، ولا نجد سوى موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وبحكم عثورنا صدفة على وثائق في الأرشيف الفرنسي تتطرق إلى مواقف مختلف تيارات الحركة الوطنية في الجزائر (جمعية العلماء، حركة الانتصار، حزب البيان، الحزب

الشيوعي الجزائري) وردود فعل شعبية، خاصة في منطقة الغرب الجزائري وتحديدًا في مدن مثل: وهران، مستغانم، معسكر، سيف، سيدي بلعباس، تلمسان وضواحيها.

أ- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

نسجت جمعية العلماء شبكة من العلاقات المتينة مع ملوك مسلمين كانت لهم مواقف مشرفة لدينهم وأمتهم، ومنهم محمد الخامس ملك المغرب، وليس من عادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التقرب من الملوك والزعماء أو التزلف لهم، وإذا اقتربت منهم فإن ذلك من باب التعريف بنشاطها الإصلاحي والتماس النصرة للقضية الجزائرية.

أصدرت جمعية العلماء فتوى أيدت فيه علماء المغرب على فتواهم، واعتبرت لقلاوي والكتاني وعصابتها التي تولت الحكم بعد عزل السلطان محمد الخامس خارجة عن الإسلام. وردت على مؤامرة الجنرال غليوم ومحمد بن عرفة بإصدار فتوى شرعية صريحة رفضت من خلالها التسليم بأمر الواقع، والاعتراف بشرعية الملك المنصب بالقوة، وأكدت وفاءها الدائم للسلطان محمد الخامس.⁹ وصرح الشيخ محمد خير الدين نائب الجمعية ما يلي: "الولاية الوحيدة الصحيحة هي ولاية سيدي محمد بن يوسف، وأن طاعته مستمر لزومها لكل مسلم مغربي يؤمن بالله ورسوله، وأنكل ولاية في المغرب باطلة ما لم تكن مستمدة من ولايته، كما نقرر أن كل فعل أو قول يصدر عن أي إنسان في المغرب تحت الضغط والتهديد والإكراه باطل ولا يلزم الأمة المغربية كما قرر الإسلام أن أفعال الكره لا تلزمه."¹⁰

كما أرسلت الجمعية في الداخل ممثلة في أمينها العام أحمد توفيق المدني¹¹، وقادتها في الخارج ممثلة في رئيسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ورئيس مكتبها بالقاهرة، الشيخ الفضيل الورتلاني، برقيات مساندة إلى السلطان محمد الخامس، ورسائل تنديد إلى رئيس الحكومة

الفرنسية، وطالبوا الأمين العام للجامعة العربية الضغط على أصحاب القرار في فرنسا والعالم لحل هذه الأزمة السياسية في المغرب.¹²

وكتب أحمد توفيق المدني، الأمين العام للجمعية، رسالة احتجاج إلى السلطات الفرنسية وفي مقدمتهم رئيس الحكومة، جاء فيها: " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ترفع باسم مسلمي القطر الجزائري، الاحتجاج الصارخ العنيف على خلع جلالته السلطان محمد الخامس بصفة غير شرعية، إثر المؤامرة التي دبرها الاستعماريون والخونة والصائدون في المياه العكرة، وتعلن أن وجهة النظر الدينية تعتبر هذا لغوا، ومنافيا لأحكام الإسلام... وتسجل جمعية العلماء بغاية الأسى أن الهوة السحيقة بين فرنسا والإسلام تزداد كل يوم اتساعا وعمقا لغلطات الحكومة الفرنسية المتوالي، وبعدها عن فهم الحقائق."¹³ وفي نفس الوقت أبرق رسالة أخرى إلى السلطان المغربي في أحاكسيو بكورسيكا مكان تواجد السلطان تعكس استنكار الجمعية للعملية وتؤكد تضامن الجزائريين مع الشعب المغربي ومع جلالته السلطان.

أما على المستوى المحلي، فقد اخترنا في هذا الشأن منطقة الغرب الجزائري بحكم القرب الجغرافي، ونجد في التقارير الفرنسية أن علماء المنطقة كانوا متأثرين بما يجري لكنهم كانوا متحفظين عن إعلان مواقف جريئة خوفا من ردود الفعل الفرنسية. حيث نجد أن الشيخ سعيد الزموشي، المفتش العام للمدارس الإصلاحية بعمالة وهران، قد دعا المصلين المجتمعين بمدرسة الفلاح بوهران يوم 21 أوت 1953، إلى رفع أيديهم إلى الله لأجل الترحم على إخوانهم المغاربة شهداء الأحداث الأخيرة.¹⁴ وحتى في الذكرى الأولى لنفي الملك يوم 20 أوت 1954، ألقى الشيخ عبد القادر الياجوري بمدرسة الفلاح بعد صلاة الظهر، محاضرة تحدث فيها عن التضامن المغاربي تجاه السلطان محمد الخامس بحضور حوالي 200 متعاطف.¹⁵

كانت جمعية العلماء أكثر الهيئات الجزائرية اهتماما بقضية نفى السلطان المغربي وأول الوفود المهتة التي استقبلها محمد الخامس بعد عودته، فقد قررت الجمعية في شهر نوفمبر 1955، إرسال وفد عنها إلى الرباط لتبليغ هتة الجزائر المسلمة، وكان الوفد مؤلفا من: العربي التبسي، محمد خير الدين، أحمد توفيق المدني، عبد اللطيف سلطاني.¹⁶ وتحدثت البصائر عن ذلك في مقال كان عنوانه: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، شكر وولاء وتقدير، في عددها 344 الصادر في 2 ديسمبر 1955. وصف الشيخ محمد العيد المجلس الذي استقبل فيه الملك الوفد الجزائري، قائلا:

وجاءت الوفود مهتة بنيل مُناك من دنيا ودين

فأثرت الجزائر باحتفاء بمقدم وفدها الحر الأمين

وأدلى المغرب الأقصى إليها ببرهان على الود الكمين

وكيف يصد عنها وهي أخت تمت إليه بالنسب المتين.¹⁷

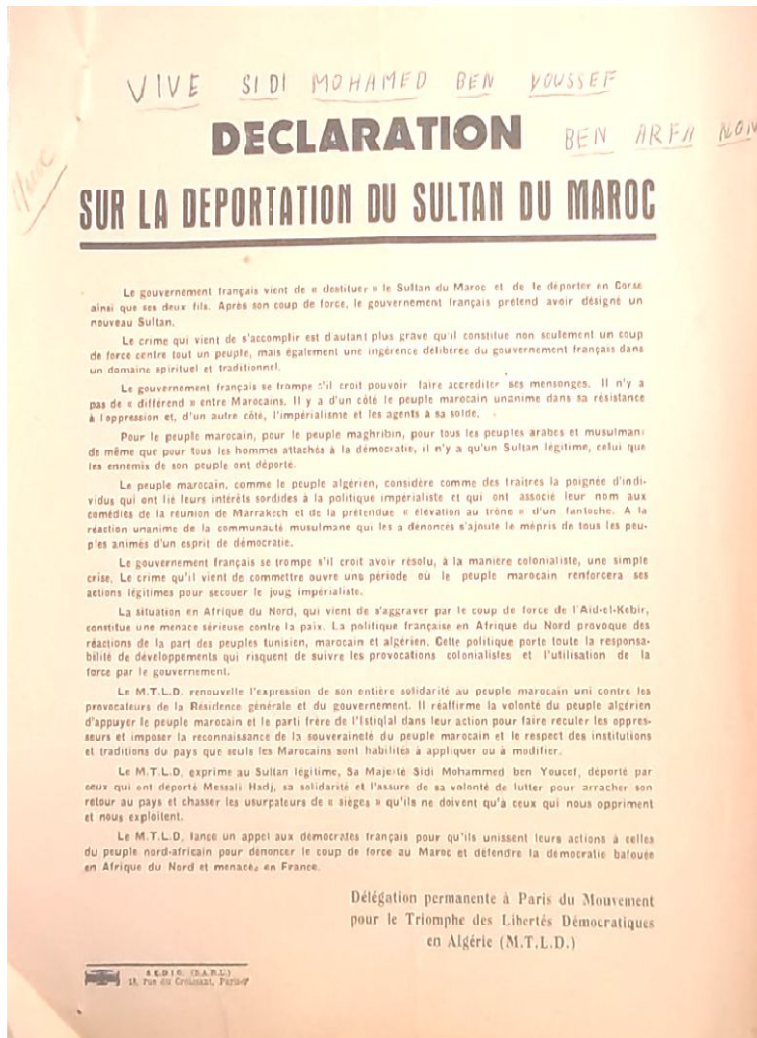
ب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD):

رغم الأزمات الداخلية التي كان يعرفها الحزب جراء اكتشاف المنظمة الخاصة (L'OS) سنة 1950 ثم اختلاف مناضلي الحزب في أبريل 1953 حول التسيير والاختيارات المصيرية وخاصة ما تعلق بالكفاح المسلح، إلا أنه أولى اهتماما كبيرا لما يحدث بالمغرب، لم تعكسه الكتابات التاريخية لحد الآن، في حين يزخر الأرشيف الفرنسي على مادة غزيرة حول موقف الحركة ورد فعلها تجاه عزل ونفي محمد الخامس، الذي كان أكثر عنفا من التيارات الأخرى. وقد اكتفينا بعينات تخص عمالة وهران أو منطقة الغرب الجزائري.

وفي هذا الصدد يشير تقرير لشرطة معسكر،¹⁸ موجه لنائب العمالة حول انعكاسات أحداث المغرب على الأوساط المسلمة في مدينة معسكر، أن العناصر الوطنية المنتمية إلى حزب الشعب (PPA - MTLD) تعتبر الباشا لقلاوي عميلا للاستعمار، ويطالبون من الدول العربية في المشرق التدخل لدى الأمم المتحدة بشأن ما يجري في المغرب. وكان القادة المحليون بوهران يُعلمون القاعدة من المناضلين، بكل ما يجري من أحداث بالمدن الرئيسية المغربية وخاصة مدينة وجدة ساعة بساعة. وقد طلب بلقاسم، مسؤول الحزب بوهران، يوم الاثنين 17 أوت 1953 من مناضليه، البقاء في حلة تأهب (طوارئ) لتلبية أوامر القيادة. كما سعى بلقاسم إلى تنظيم تجمعات تنتهي بمظاهرات في يومي عيد الأضحى (21 و22 أوت 1953).¹⁹

ولعل أهم رد فعل على نفي محمد الخامس ذلك البيان أو المنشور الذي صدر عن الممثلة الدائمة لحركة الانتصار ببافيس، وأُرسل إلى نائب عمالة تلمسان يوم 14 سبتمبر 1953 في ظرف بريدي لا يحمل اسم ولا عنوان المُرسِل.²⁰ يعكس البيان موقف الحزب ومن خلاله موقف الشعب الجزائري من أحداث المغرب الأقصى، ويوجه نداء إلى الفرنسيين الأحرار لمساعدة شعوب شمال إفريقيا. حمل البيان العنوان التالي: بيان حول نفي سلطان المغرب بالبند العريض، وحوله كتبت عبارات: يحيا سيدي محمد بن يوسف، لا لحمد بن عرفة (VIVE SID MOHAMED BEN YOUSSEF - BEN ARFA NON)²¹ ويعتبر أن العملية جرمية خطيرة، ويحذر فرنسا من محاولة زرع الفتن والخلافات بين أطراف الشعب المغربي، فهناك طرفين فقط: الشعب المغربي المتحد في مقاومته مقابل الاستعمار وعملائه. ويخاطب الشعب المغربي والمغاربي والشعوب العربية والإسلامية وحتى الرجال

الأحرار بأن هناك سلطان شرعي واحد. والشعبين المغربي والجزائري تربطهما أشياء كثيرة وكأنهما أصابع اليد الواحدة... لقد تعقدت وضعية شمال إفريقيا بسبب ما وقع عشية عيد الكبير (الأضحى) ومثل هذه الأعمال السياسات سيولد ردود فعل لدى الشعوب المغاربية (تونس، المغرب، الجزائر).



وتكرر حركة انتصار الحريات الديمقراطية تضامنها مع الشعب المغربي ضد استفزازات الإقامة العامة للحكومة الفرنسية، وتعلن عن إرادة ورغبة الشعب الجزائري في دعم ومساعدة الشعب المغربي وحزب الاستقلال، كما تعلن تضامنها مع السلطان الشرعي، جلالة سيدي محمد بن يوسف. وتوجه الحركة بالمناسبة نداء للفرنسيين الأحرار، لتوحيد نشاطاتهم لصالح شعوب شمال إفريقيا ولإيقاف العنف في المغرب...

أما فيما يخص ردود الفعل المختلفة لحركة الانتصار فيمكن أن نلمسها بوصول مسؤول التنظيم بالحركة إلى وهران يوم 19 أوت 1953 قادما من الجزائر العاصمة، المسمى "هوارى" واجتماعه على الساعة الثامنة مساء بالمسؤولين المحليين للحركة في منزل سويح هوارى وهم: بلقاسم، عبد الرحمن بن محمد، سويح هوارى، الزبييري إبراهيم.²² وفي اليوم الموالي اجتمع الوافد من العاصمة بسويح الهوارى والحبيب كحلول والزبييري تم التطرق فيه إلى مستجدات الأوضاع في المغرب وانتهى اللقاء على الساعة العاشرة ليلا.

وفي يوم السبت الموافق لـ 22 أوت وجهت دعوة لمناضلي الحزب للحضور إلى نادي مدرسة السعادة، وفي نفس اليوم على الساعة الثامنة مساء لى الدعوة حوالي 140 إلى 150 شخص وحضروا الاجتماع الذي عرض فيه سويح الهوارى الوضع في تونس والمغرب، ثم طلب من الحضور الاستعداد لتلبية أي أوامر من الحزب. وتم إقامة الصلاة الغائب على ضحايا الأحداث في تونس والمغرب، وانفض الاجتماع على الساعة العاشرة ليلا. وكان يبدوا على مناضلي الحزب أنهم يعيشون في حالة طوارئ.²³

كما تُبين التقارير السرية الفرنسية،²⁴ أن مناضلي حركة الانتصار في مدينة مغنية لم يحتفلوا بعيد الفطر كما جرت العادة، وذلك تضامنا منهم مع الوطنيين المغاربة وخاصة مناضلي

حزب الاستقلال، وتعبيرا عن حزنهم لنفي الملك، ونفس الأمر عند عامة الناس في المدينة بحكم عزوفهم عن تحضير حلويات العيد، والتي كانت تستغرق في السنوات السابقة عشرة أيام على الأقل، لقد أثرت أحداث المغرب في الحياة اليومية لسكان المدينة.

وعبرت أوساط في حركة الانتصار (PPA - MTL) بمدينة تلمسان عن رضاها الكبير لمحاولة الاغتيال التي تعرض لها محمد بن عرفة (الملك الجديد) في مراكش، ويعلنون إذا كانت المحاولة الأولى قد أصابته بجروح فقط، فإن أملهم كبير في تمكن حزب الاستقلال المغربي من القضاء على عون الاستعمار الفرنسي. وتعتبر نفس الأوساط أن نضال الوطنيين المغاربة ضد السلطان الجديد والمقيم العام الفرنسي، مثل يُقتدى به لتحرير الجزائر.²⁵

ج- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA):

لا نجد الشيء الكثير في أدبيات الحركة الوطنية عامة وحزب البيان خاصة، ما يعكس موقف هذا التيار من حادثة خلع ثم نفي الملك محمد الخامس في 20 أوت 1953، ماعدا الذي ذكر في كتاب ليل الاستعمار لفرحات عباس،²⁶ ومع ذلك فإن ردود فعل الحزب تظهر منذ بداية الأحداث، ففي تقرير للشرطة بمدينة معسكر، يرسله المحافظ إلى نائب العمالة يوم 17 أوت 1953، حول تعليقات الأوساط الإسلامية من أحداث المغرب.²⁷

يقر بأن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري يعتبر الباشا لفلاوي عميل للاستعمار، ويطلب من الدول العربية الشرقية التدخل لدى الأمم المتحدة. كما نسق الحزب مع باقي التيارات السياسية الوطنية وعقد اجتماعا بوهران مع كل من ممثلي العلماء وحركة الانتصار والشيوعيين يوم 21 أوت 1953 على الساعة الخامسة مساء، لكن البيانين والعلماء رفضوا اقتراح الشيوعيين بتنظيم مظاهرات للتعبير عن رفضهم للسياسة الفرنسية في المغرب، كما وقعوا

على بيان مشترك مع التيارات الوطنية المحلية الأخرى، موجه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية عن طريق الحزب الشيوعي الجزائري.²⁸

يحمل البيان العنوان التالي: "لائحة مشتركة، التنظيمات المحلية لوهرا ن توقع على" وتندد فيه بممارسات ومناورات الإدارة الفرنسية وعملها لفلاوي تجاه السلطان والحركة الوطنية المغربية، وتدين المجازر المرتكبة وحملة الاعتقالات في حق الشعب المغربي، وتُحيي الوطنيين ضحايا الحرية، وتطالب بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، كما تطلب من سكان القطاع الوهراني (الغرب الجزائري) إبراز مظاهر التضامن مع الشعب المغربي الشقيق وزيادة الحذر من الاستفزازات الاستعمارية. كما اجتمعت شعبة الحزب بوهرا ن يوم 23 أوت برئاسة علاي قويدر وحضور كل من طويل محمد، حدو عمار، حماني موسى، وتمت دراسة الوضع في المغرب والتطرق إلى الاقتراح الذي تقدم به الشيوعيون لتنظيم مظاهرات.²⁹

أما على المستوى المركزي للحزب، نجد أن فرحات عباس، رئيس الحزب، يعتبر أحداث تونس واعتقال الملك المغربي محمد الخامس يوم 20 أوت 1953، فتح الباب لميلاد العنف، ويضيف قائلا: "إن اعتقال صاحب الجلالة في عشية عيد الأضحى، أثر في الجزائر، وكان كصفعة لكل شمال إفريقي، وإهانة واستخفافا بالإسلام، وكان عيد الأضحى لنا يوم حزن وغضب..."³⁰

كما نشرت جريدة ألجي روبييلكان (Alger Républicain) لسان حال الحزب، يوم الجمعة 28 أوت 1953 برقية لفرحات عباس مرسله إلى السلطان المغربي جاء فيها: "جلالة سيدي محمد بن يوسف، عمالة أجاكسيو (كورسيكا). أمام الممارسات الإقطاعية الاستعمارية، جلالتم اختار الزهد في العرش وفضل مصلحة الشعب المغربي، هذا الاختيار يعبر

عن عظيم سلطانكم. وليكن في علم جلالكم أن الشعب الجزائري سيكون معكم في هذه الظروف الأليمة. وكل الفرنسيين الشرفاء وكل المسلمين يعبرون عن مدى احترامهم لشخصكم ويؤكدون على ارتباطهم بجلالكم، يحفظكم الله بعنايته.³¹

وفي نفس العدد، الذي كُتب في افتتاحيتها بالبند العريض: نفي جلاله سيدي محمد بن يوسف، نشر المكتب السياسي لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بيانا واضح فيه أن الجزائر المسلمة قد تلقت نبأ نفي جلاله الملك، بعد المؤامرة التي كانت الإقامة العامة تخطط لها منذ فيفري 1951، بمشاعر الحزن والأسى والألم. هذه العملية التي تم تنفيذها ليلة عيد الأضحى، ليلة من المفروض إقامة الصلوات فيها. كما أكد بأن الحكومة الفرنسية، بهذا العمل، تريد ضرب المشاعر الدينية للشعب المغربي وبينت صراحة موقفها تجاه الإسلام والمسلمين في أرجاء العالم. إن الجزائر المسلمة لا تُخفي مشاعرها تجاه هذه المؤامرة التي مست شخص سيدي محمد بن يوسف. وهذا التضيق لا يمس حرية الشعب المغربي وحده بل يمس كل شعوب شمال إفريقيا. لقد ضُرب الإسلام في القلب، 500 مليون مسلم عبر العالم، يتألم بسبب هذه العملية التي خلفت حزنا عميقا. ونحن مثل كل الشعوب الخاضعة للإمبريالية الاستعمارية نعتبر هذا اليوم، يوم حزن...

DES HOMMES - DES PEUPLES - DES RACES

ORGANE DU MANIFESTE DU PEUPLE ALGER

DECLARATION DU BUREAU POLITIQUE DE L'U.D.M.A.

L'Algérie musulmane a accueilli avec un sentiment de douloureuse stupeur la déposition de Sa Majesté Sidi Mohammed ben Youssef, sultan du Maroc, déposition opérée par le gouvernement français à la suite d'un complot odieux qui dure depuis février 1951 et qui n'a pas craint, dans sa phase finale, de recourir à la guerre civile.

La grosse colonisation nord-africaine a perpétré contre un souverain musulman partisan de la démocratisation de son pays, le plus extraordinaire des attentats.

Au mépris du droit des gens, mélinant les engagements solennels, trahissant la parole donnée, faisant fi de la décence la plus élémentaire, un gouvernement qui n'effraie pas l'aventure a déposé Sidi Mohammed ben Youssef et, en l'espace de quelques heures, l'a mis en état d'arrestation et l'a fait transporter en Corse, en compagnie de ses deux fils.

Circonstance aggravante : cette opération a été accomplie dans la nuit de la fête de l'Aïd el Kebir, fête qui devait débiter à l'aube par de grandes prières rituelles et collectives au nom de Sidi Mohammed ben Youssef, Commandeur des croyants.

Ainsi le gouvernement français, se livrant en ce jour sacré à un scandaleux sacrilège, n'a pas hésité à troubler la conscience religieuse des Marocains et à afficher son profond mépris à l'endroit de l'Islam et des Musulmans du monde entier.

L'Algérie musulmane ne se dissimule pas qu'un tel attentat vise, par delà la haute personnalité de Sidi Mohammed ben Youssef, à l'asservissement non seulement du peuple marocain, mais de tous les Musulmans nord-africains.

Elle ne se dissimule pas qu'en accord avec les visées impérialistes de l'Angleterre et de l'Europe, en accord avec les préoccupations anti-communistes des Etats-Unis d'Amérique, le gouvernement français a choisi délibérément une politique coloniale d'oppression anti-musulmane.

L'Islam a été frappé.

Dans le cœur endeuillé des cinq cents millions de musulmans du monde entier, l'attentat a eu de profondes et douloureuses repercussions.

Pour nous comme pour tous les peuples soumis à l'impérialisme colonial, ce jour est un jour de deuil. Il vient fortifier notre idéal de libération nationale, notre vigilance dans la lutte qui nous anime et notre foi dans la victoire finale.

Le ministre n'était pas le leader du D.M.R.P., le plus violentement catholique organisé.

Rappelons que Pa le Paris de l'intelligence, alors sous le coup d'une réaction superficielle, pi la prise de position cois Mauriac et pai ves de milieux catho ccs » et « indignés le professeur Masu Comité France-Ma » société protectri sulmans écrasés », d'un élu colon.

L'entretien fut br De la part de l'avo preint de cette et nue des républicai sants » qui exigei décades et sur le « que ça change »

— Mais enfin, Président, il est u quelque chose.

— Je ferai quel plique le chef de française, lorsque riac aura fini di (sic)

L'actuel minist étrangers passio qui énonce, depuis les formules hist éclatantes. Mis sont empruntées, cas, à la langue sont pas moins sensées.

C'est dire qu riac, en appreni que sa très cat ce Georges Bie ses initiatives perdit une de s lusions.

En fait, quel avaient suffi po

د- الحزب الشيوعي الجزائري (PCA):³²

ظل الحزب الشيوعي الجزائري منشدا إلى الأطروحات العامة لتطهير الحزب الشيوعي الفرنسي، مما جعله لا يؤثر كثيرا في الحياة السياسية الجزائرية، وحتى خلال سنوات جزأته ما بين 1935-1937، لكن الثابت أن أحداث 8 ماي 1945، وما أعقبها، قد غيرت نظرتة إلى الظاهرة الاستعمارية.³³ لكن هذا التغيير لم يرق إلى مستوى القطيعة مع الأطروحات السابقة، كما لم يسمح له بالاندماج الكلي مع مكونات الحركة الوطنية الجزائرية. والمهم أن الحزب الشيوعي الجزائري، قد عاش مجموعة من الانعطافات، منها ما تبين من موقفه تجاه خلع سلطان المغرب محمد الخامس.

ورد أول رد فعل للحزب الشيوعي الجزائري يوم 14 أوت 1953 في شكل تصريح في جريدة ألجي روبيك (Alger Republicain)،³⁴ حيث جاء فيه بأن الحزب الشيوعي الجزائري يرفع معارضته لأعمال العنف الخطيرة التي تُحضر وتخطط لها السلطات الاستعمارية الفرنسية والقوى الإقطاعية العميلة لها. كما أن عزل السلطان لصالح بني وي-وي هو عمل اعتباطي... هذه الأوساط التي تحاول ضرب الحركة الوطنية المغربية وتقسيم الشعب وإراقة الدماء، إنهم يريدون خلق الفوضى في البلاد لتبرير التدخل العسكري وتكريس الهيمنة الاستعمارية أكثر فأكثر. لذا يدعو الحزب الشيوعي الجزائري كل الوطنيين والديمقراطيين إلى الوقوف في وجه العنف الاستعماري، ويطلب منهم إبراز تضامنهم مع الشعب المغربي الشقيق، ليؤكد على طموحاته الوطنية ويدافع عن حقوقه المشروعة.

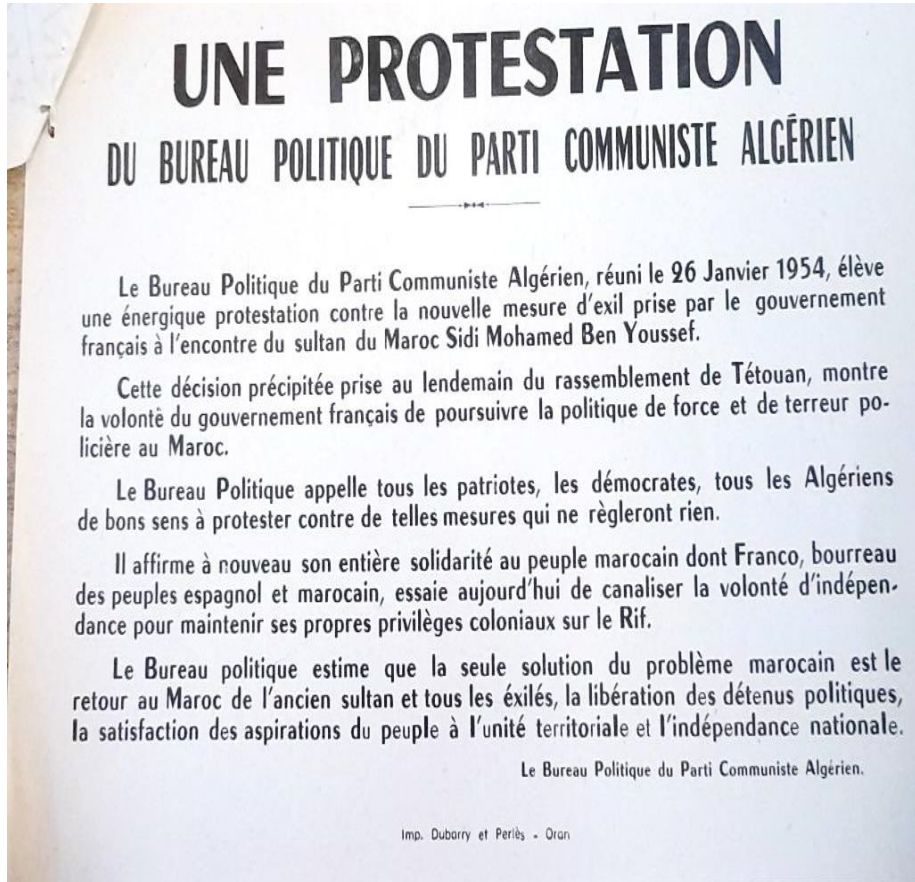
واعتبر الحزب الشيوعي الجزائري أن لقللوي عميلا للاستعمار، وشارك في إعداد اللائحة المشتركة التي جمعتها بالعلماء والبيانين وحركة الانتصار يوم 17 أوت 1953، وقد

كُلف بتقديمها إلى رئيس الجمهورية الفرنسية.³⁵ وقد حاول الشيوعيون الاتصال والتنسيق مع الحركات الوطنية الأخرى لكنهم لم يجدوا رغبة ولا قبولا لديهم، وذلك لأن الشيوعيين كانوا يرغبون في الذهاب إلى الشارع مباشرة والقيام بالمظاهرات. وفي مساء يوم 19 أوت 1953، اجتمعت اللجنة الجهوية للحزب بمقره في وهران وتقرر أنه بعد غد (21 أوت) يقوم كل من مُراد بودية بشير، الأمين العام للفدرالية العامة للعمال (CGT) لعمالة وهران، ومالكي الطيب، الأمين الجهوي للحزب الشيوعي الجزائري، بالتوجه إلى حي سيدي عقبة بالمدينة الجديدة، للاتصال بالشعب واستطلاع آرائهم حول أحداث المغرب، فإذا كان الجو العام ملائما، فسيتم إلقاء خطب في شوارع المدينة تُتبع بتنظيم مظاهرات احتجاجية.³⁶ لقد كانت العناصر الشيوعية في الغرب الجزائري عامة ومدينة وهران خاصة متحمسة كثيرا لتنظيم احتجاجات في الشوارع، وإبداء معارضة ملموسة للسياسة الفرنسية تجاه السلطان والشعب المغربي.

واصل الحزب الشيوعي الجزائري تضامنه مع القضية المغربية وسلطانها محمد بن يوسف، فأصدر مكتبه السياسي يوم 26 جانفي 1954 بيان تنديد جاء فيه: "إن المكتب السياسي للحزب الشيوعي الجزائري، اجتمع يوم 26 جانفي 1954، يندد بشدة بإجراءات النفي الجديدة المتخذة من قبل الحكومة الفرنسية بعد لقاءها بسلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف. وهذا القرار الاستثنائي المتخذ غداة تجمع تيطوان، يعكس نية الحكومة الفرنسية في مواصلة سياسة العنف والتخويف والتدابير البوليسية في المغرب... ويدعو المكتب السياسي كل الوطنيين، الديمقراطيين، كل الجزائريين الشرفاء إلى إدانة ومعارضة هذه الإجراءات. ويعبر من جديد عن كامل تضامنه مع الشعب المغربي. ويرى أن الحل الوحيد للمشكل المغربي هو عودة

السلطان إلى المغرب، وكل المنفيين، تحرير المعتقلين السياسيين، تحقيق طموحات الشعب في الوحدة الترابية والاستقلال الوطني.³⁷ أنظر إلى نسخة من هذا البيان. ووزع الحزب خفية بيانا آخر يوم 20 أوت 1954. بمناسبة الذكرى الأولى لنفي محمد الخامس، حمل عنوان: "عام من بعد".³⁸

لم يكتف الشعب الجزائري وحركته الوطنية بإبداء مواقفهما تجاه نفي السلطان المغربي محمد الخامس فقط، بل وحتى إزاء السلطان الجديد محمد بن عرفة وخاصة عندما تعرض إلى محاولة اغتيال. ففي أمسية 29 أوت 1953، على الساعة التاسعة وعشرين دقيقة مساء، بينما كان حوالي 250 جزائري يتفرجون على الأخبار اليومية أمام شاشة سينما ركس (Rex) بوهران (نهاية شارع معسكر حاليا)، إذ مرت في شريط الأخبار ذاك، صورة السلطان المغربي الجديد محمد بن عرفة، فتعالت الأصوات مرددة: "ابتاعوه... انزعوه...". (vendu, Enlevez-le).³⁹



وفي تقرير آخر بتاريخ 12 مارس 1954 حول تعليقات الجزائريين في مدينة مستغانم بعد العملية التي استهدفت السلطان الجديد نجد فيه، أنه سُجل في الأوساط الجزائرية المختلفة ما يلي: "رغم محاولة الاستعمار الفرنسي التغطية عن الحدث والادعاءات التي تقول أن هناك رعاية إلهية تحمي محمد بن عرفة (البركة) إلا أن لا شيء يمنع حزب الاستقلال والحركة الوطنية المغربية من القضاء على عميل الامبريالية وبده اليمنى لثلاوي، وسيواصلون ذلك رغم فشل

هذه المحاولة. ويُروَّج أن الاستعمار الفرنسي عرض على السلطان محمد الخامس العودة لكنه رفض ذلك، إلا في حالة قبول شرط الحرية واستقلال البلاد.⁴⁰

أما أوساط الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لهذه المدينة، فتقر أن هذه الأعمال هي من النتائج الطبيعية والمنطقية للسياسة الفرنسية المنفردة واللامسؤولية في المغرب الأقصى. لكن الطرفين في معسكر استنكروا هذا العمل الذي أقدمت عليه الحركة الوطنية المغربية، لأنه من نسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم. في حين كل التيارات الوطنية من الاستقاليين (MTLD)، الإصلاحيين (العلماء)، البيانيين (UDMA) بمعسكر، تؤكد أن السلطات الفرنسية لم تُخبر محمد بن عرفة في اعتلاء عرش محمد الخامس من عدمه، ولو كان له الاختيار لما قبل، وهي تحافظ (التيارات الوطنية) على نوع من الاحترام لشخصه بسبب أصوله وكبر سنه والضغط الممارس عليه.⁴¹

الخلاصة:

على ضوء هذه المواقف لمختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية نستنتج أن مكانة محمد الخامس الدينية والوطنية كانت تستوجب هذه الجرأة السياسية بغض النظر عن توجهات ودوافع بعض التيارات، المهم أنما تبنت واجتمعت على الاحتجاج والمعارضة في وجه البطش الاستعماري الممارس ضد الشعب المغربي وسلطانه على حد السواء، وخاصة في منطقة الغرب الجزائري، التي كانت تحس بما يجري أكثر من مناطق الجزائر الأخرى. وفي ظل تواجد جالية مغربية قُدر عددها في عمالة وهران سنة 1954 بـ 77706 نسمة، كما يوحي بوجود تضامن شعبي يسائر التعاون والتنسيق الحاصل بين الحركات الوطنية المغاربية، وعلى سبيل الذكر مكتب تحرير المغرب العربي بالقاهرة.

الإحالات:

¹ - مولود عويمر (1968-...) : أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة الجزائر 2، متحصل على شهادة الماجستير في التاريخ من جامعة بواتييه سنة 1993، ثم شهادة الدكتوراه من جامعة باريس سنة 1998.

² - تم نشر هذا المقال في الموقع الإلكتروني التالي: مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين والملك محمد الخامس، إسلام مغربي، WWW. ISLAMMAGHRIBI. COM:2014

³ - الحاج التامي لفلاوي: باشا مدينة فاس، وليد عبدة زنجية وابن قائد قبيلة لفلاوي بجنوب المغرب على سفوح جبال الأطلس. شارك الجنرال الفرنسي ليوطي بقواته القبليّة حملاته العسكرية لاحتلال المغرب. وعرفانا له بوفاته وتفانيه في خدمة الاستعمار، أهده الماريشال منصب باشا مراكش، فكانت بداية شهرته الماحنة بفعل استثماره في بيوت الدعارة بمراكش والمحمدية، وكل ذلك لم يمنع الباشا لفلاوي من الحج في سنة 1946 على متن طائرة مقدمة من الحكومة الفرنسية.

⁴ - الشريف عبد الحي الكتاني: كان شيخ زاوية بارزة، زاوية الكتانيين، التي تفتخر بانتسابها لسلالة مولاي إدريس من نسب السيدة فاطمة الزهراء، ومن ثمة كان أصل العداوة التاريخية بين الكتانيين والعلويين، بحجة أن هؤلاء سلبوهم الملك والعرش. وزادت العداوة بمقتل أخ عبد الحي الكتاني بأمر من مولاي حفيظ عم محمد الخامس. ضف إلى ذلك اعتقاد عبد الحي الكتاني بأن الأسرة العلوية هي العدو اللدود للطرق الدينية، خاصة منذ 1946 بسياسة محمد الخامس الحازمة اتجاهها.

⁵ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية في المغرب، الجزء 2، الدار البيضاء، 1976، ص.553.

⁶ - محمد بن عرفة: هو عم الملك محمد الخامس، كان رجلاً طاعناً في السن في العقد السابع من العمر، ضعيف الشخصية، مجهولاً، مغموراً على غرار أغلب أقرباء الملك، ولم يكن متعلماً ولا كانت له تجربة سياسية أو إدارية، وقد نصح لفلاوي السلطات الفرنسية باختياره.

⁷ - Surveillance de la frontière algéro-marocaine, Événements marocaines, police des renseignements généraux, Poste de Marnia, N°754, Marnia, 16/08/1953, carton N° Oran 172, AOM, op.cit.

⁸ - Note pour Monsieur le secrétaire général pour la police et les affaires économiques, Préfecture d'Oran, cabinet du préfet, N°III/CR, Oran, 06/06/1954, carton N° Oran 92-568, op.cit.

⁹ - مولود عويمر، المرجع السابق.

¹⁰ - عمار بن سلطان وآخرون، بن سلطان عمار وآخرون، الدعم العربي للثورة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007، ص.83.

¹¹ - أحمد توفيق المدني (1899-1983): ولد بتونس يوم 1 نوفمبر 1899. دخل أحمد توفيق المدني أحد كتاتيب العاصمة وهو لم يتجاوز الخامسة، ثم انتقل سنة 1909 إلى المدرسة الأهلية القرآنية، ومنها إلى جامع الزيتونة سنة 1913. بدأ نضاله السياسي مبكراً بتونس، فاعتنم أحداث الحرب العالمية الأولى ليكون مع رفاقه خلية من الطلبة المناضلين للتحريض على الثورة ضد الاحتلال الفرنسي، فقبض عليه يوم 14 فيفري 1915 وأدخل السجن حتى شهر نوفمبر سنة 1918. كما كان من بين المؤسسين للحزب الدستوري التونسي سنة 1919. وفي سنة 1926، كان من بين المؤسسين لنادي الترقى، الذي كان وراء تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. كان للمدي دور هام في تشكيلها وتنظيمها، حيث تقلد منصب الأمين العام، ورئيس تحرير جريدة البصائر لسان حالها إلى غاية سنة 1956. سافر مع عباس بن الشيخ الحسين إلى القاهرة حيث كان يقيم الشيخ البشير الإبراهيمي وأعلنوا رسمياً انضمام جمعية العلماء للثورة الجزائرية. فعين عضواً في الوفد الخارجي لـ جبهة التحرير الوطني، وعضواً في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وعضواً في الحكومة المؤقتة في تشكيلتها الأولى. عند استقلال الجزائر، عين وزيراً للأوقاف والشؤون الدينية. توفي بالجزائر العاصمة يوم 18 أكتوبر 1983. للمزيد يمكن العودة إلى: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 2004، ص.303.

¹² - مولود عويمر، المرجع السابق.

¹³ - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات، الجزء 2 في الجزائر 1925 - 1954، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص.565.

¹⁴ - Réactions des milieux communistes et nationalistes d'Oran devant les événements du Maroc, police des renseignements généraux du district d'Oran, N°7493, Oran 24/08/1953, GGA, carton N° Oran 172, op.cit.

¹⁵ - Anniversaire des événements du Maroc, du 20 août 1953, activité en milieux politique et religieux, police d'état, n° 1641/C, Oran, 21/08/1954, op.cit.

¹⁶ - محمد خير الدين، مذكرات، الجزء 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980، ص 113. وأيضا: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات، الجزء 3 مع ركب الثورة التحريرية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 73. وأيضا: عمار بن سلطان، المرجع السابق، ص 84.

¹⁷ - مولود عومر، المرجع السابق.

¹⁸ - Evénements de Maroc, Rapport du commissaire central, chef de la circonscription de police de Mascara, N°6178, Mascara, 17/08/1953, op.cit.

¹⁹ - Réactions des milieux communistes et nationalistes d'Oran devant les événements du Maroc, Rapport du police des renseignements généraux du district d'Oran, N°7439, Oran, 19/08/1953, carton N° Oran 172, AOM, op.cit.

²⁰ - M.T.L.D – P.P.A, Activité en France, SLNA, N°888, Oran, 14/09/1953, op.cit.

²¹ - هناك نسخة من هذا البيان في امتن المقال.

²² - بلقاسم: مسؤول ولاية وهران، عبد الرحمن بن محمد: مسؤول دائرة وهران، ومسؤول سابق في المنظمة الخاصة، سويح هواري: مسؤول لجنة الشؤون الإسلامية بالفرع.

²³ - Réactions des milieux communistes et nationalistes d'Oran devant les événements du Maroc, police des renseignements généraux du district d'Oran, N°7493, op.cit.

²⁴ - Activité P.P.A-M.T.L.D, Fêtes de l'aïd seghir, Rapport du commandant de la section de gendarmerie de Tlemcen, N°104/4, Tlemcen, 31/05/1954, carton N° Oran 92-568, op.cit.

²⁵ - Répercussions en milieux nationalistes de Tlemcen de l'attenta dirigé contre le sultan du Maroc, P.R.G. N°2208, Oran, 16/03/1954, op.cit.

²⁶ - ABBAS Ferhat, guerre et révolution d'Algérie, la nuit coloniale, Julliard, Paris, 1962.

²⁷ - Evénements de Maroc, Rapport du commissaire central, chef de la circonscription de police de Mascara, op.cit.

²⁸ - Réactions des milieux communistes et nationalistes d'Oran devant les événements du Maroc, police des renseignements généraux du district d'Oran, op.cit. Et: Réactions des milieux communistes et nationalistes d'Oran devant les événements du Maroc, Rapport du police des renseignements généraux du district d'Oran, N°7439, op.cit.

²⁹-Réactions des milieux communistes et nationalistes d'Oran devant les événements du Maroc, police des renseignements généraux du district d'Oran, N°7495, Oran 24/08/1953, carton N° Oran 172, AOM,

³⁰- ABBAS Ferhat, op.cit, p.187.

³¹- Alger Républicain, N° 362, 28/08/1953

³²- الحزب الشيوعي الجزائري (PCA): كان ظهوره سنة 1920 بواسطة العناصر الفرنسية الموجودة بالجزائر والتي سيطرت عليه فترة طويلة، لذلك يمكن القول أنه أنشئ رسميا عام 1936 على أنقاض الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان يضم الأوروبيين والمسلمين. لم يتطور هذا الحزب لأنه لم يدرج فكرة الاستقلال ضمن برنامجه إضافة إلى أنه كان في صراع دائم مع الأحزاب التي تهدف إلى الانفصال عن فرنسا ولأجل ذلك فإنه لم يحض بتأييد الجماهير وتم حل الحزب بسبب اتهام حكومة فيشي بالعمل ضدها، فضعف نشاطه ما بين 1940-1942.

³³- من الأحداث التي ساهمت في ذلك: مؤتمر الأحزاب الشيوعية بكل من المغرب، الجزائر، تونس، الذي انعقد بتاريخ 1944/09/25 تحت رئاسة الحزب الشيوعي الفرنسي، ودور ليون فيكس (Léon Feix)، الذي شدد على وحدة الأحزاب الشيوعية المغاربية تجاه القضايا الدولية وواقع بلدانها، دون التطرق إلى قضية الاستقلال. للمزيد يمكن العودة إلى: أحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، طبعة 2، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص.386.

³⁴-Alger Républicain, 15/08/1953.

³⁵- هذه اللائحة تم التطرق إليها في الحديث عن موقف الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، راجع ص 8 من هذا البحث.

³⁶-Réactions des milieux communistes et nationalistes d'Oran devant les événements du Maroc, police des renseignements généraux du district d'Oran, N°7493, op.cit.

³⁷- Une protestation du bureau politique du parti communiste algérien, Activité du parti communiste algérien, Rapport, P.R.G N°769, Oran, 29/01/1954, carton N° Oran 92-568, op.cit.

³⁸- Anniversaire des événements du Maroc, du 20 aout 1953, activité en milieux politique et religieux, police d'état, n° 1641/C, Oran, 21/08/1954, op.cit.

³⁹- Manifestation au cinéma Rex contre le nouveau sultan du Maroc, police des renseignements généraux du district d'Oran, N°7662, Oran, 02/09/1953, carton N° Oran 172, op.cit.

⁴⁰ - Commentaire à la suite de l'attentat commis contre le sultan du Maroc, P.R.G. N°228, Mostaganem, 12/03/1954. Et : P.R.G. N°2209, Oran, 16/03/1954, carton N° Oran 92-568, op.cit.

⁴¹ - Réactions de la population à la suite de l'attenta contre le sultan du Maroc, Sous-Préfecture de Mascara, N°441/1, Mascara, 15/04/1954, op.cit.